شرح العقيدة الواسطية

الدرس العاشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

كنّا قد وقفنا في الدرس الماضي عند انتهاء المؤلف رحمه الله من ذكر الآيات التي حوت على أسماء الله وصفاته تبارك وتعالى.

وتقدم أنّ أهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ في سنته، فبعدما ذكر المؤلف رحمه الله ما وصف الله به نفسه في كتابه؛ بدأ بذكر السنة وما وصف به نفسه في سنة النبي ﷺ.

فقال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**

السنّة لغة: هي الطريقة، وفي الاصطلاح: تطلق على عدة معانٍ؛ منها:

ما يقابل البدعة، وهذا تجدونه في كتب الاعتقاد؛ ككتاب "السنة" للخلال، و"شرح السنة" للبربهاري، و"شرح السنة" للالكائي، وغيرها؛ فهذه الكتب وُضعت تُقرر مسائل الاعتقاد التي خالف فيها أهل البدع.

ومن معاني السنة: الشريعة، تطلق السنة ويُراد بها الشريعة بالكامل، كما قال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"، "عليكم بسنتي" أي: بشريعتي.

وتُطلق بمعنى: المستحب، وهذا عند الفقهاء، يُطلقون السنة بمعنى المستحب؛ يقول لك هذا الفعل واجب، وهذا سنة؛ أي: مستحب.

ومنها: ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، فما أُضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ يُقال فيه سنة، وهذا المعنى الأخير هو المراد معنا هاهنا، أي: ما جاء عن النبي ﷺ من قول له أو فعل من أفعاله أو أقرَّ أحدَ أصحابه على فعل من

الأفعال.

قال المؤلف: **(فَالسُّنَّةُ تُفَسِّر القُرْآنَ وتُبَيِّنُهُ)**

أي: فالسنة بِهَذَا المَعْنَى الذِي ذَكَرْنَاه تفسر القرآن- فالتفسير: هو التوضيح-، وتُوضّح معنى الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، جاء عن النبي ﷺ أنّ الظلم هاهنا الشرك، ففسرت السُّنّة القرآن.

وكذلك قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} فسّرَ النبي ﷺ الزيادة هنا بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، والأمثلة كثيرة، فالسّنّة تُفسِّر القرآن وتُبيّنه، أي: تبين مجمله، كبيان كيفية الصلاة وكيفية الحجّ، جاء في كتاب الله أنّ الله تبارك وتعالى قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} فهذا أمرٌ بإقامة الصلاة؛ فكيف نصلي؟ علّمنا النبي ﷺ كيف نُصلي، فكان في فعل النبي ﷺ بياناً لمجمل الكتاب، وكذلك الحجّ، أمر الله تبارك وتعالى بالحجّ، ففعل النبي ﷺ ذلك وبيّن لنا كيفية الحجّ؛ فهذا بيان لأمرٍ مجملٍ.

قال: **(وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ)**

السّنّة تدلّ على ما في القرآن من معنى، فهي تُفسر وتبين وتوضح كتاب الله تبارك وتعالى وتعبر عنه؛ أي: تدلّ على المعنى الذي يدلّ عليه وتبين المراد منه؛ هذه سنة النبي ﷺ وهذه مكانتها.

قال: **(وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك)**

السّنّة: هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، فالله عز وجل قال: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وطاعة الرسول تكون باتباع سنته ﷺ، وطاعة الله تكون باتباع كتابه، وقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ومما جاءنا به النبي ﷺ سنته، وقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}؛ فكلام النبي ﷺ

وحيٌ من الله.

وقال ﷺ: "لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ونهيت عنه، فيقول بيني وبينكم كتاب الله؛ ألّا إني أوتيت الكتاب ومثلَه معه"؛ يعني يحذر النبي ﷺ؛ يقول: لا أجدن من بعدي أقواماً يأتون ويجلس الواحد منهم على كنبته أو على سريره، ويتكئ على وسادته ويقول: بيني وبينكم كتاب الله؛ أي: أني لا آخذ بسنة النبي ﷺ، حذّر النبي ﷺ من مثل هذا؛ قال: "ألّا إني أوتيت الكتاب ومثلَه معه"، يعني: أوتيت القرآن وأوتيت السنة التي هي مثل القرآن؛ القرآن وحده لا يكفي، لابدّ من السنة معه؛ لذلك عندما تكفل الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه حفظ معه سنة نبيه ﷺ؛ فكان الدين تاماً محفوظاً.

قال المؤلف هنا بناء على ما قدمنا: (ما وصف الرسول به ربّه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول) يعني: كلّ ما وصف النبيُ ﷺ به ربّه تبارك وتعالى في حديثٍ ورد عن النبي ﷺ، وهذا الحديث قد تلقاه أهل المعرفة الذين هم أهل الحديث، أخذوا هذا الحديث بالقبول؛ أي: قبلوه ولم يردّوه ولم يطعنوا فيه؛ وجب الإيمان به كذلك؛ وجب الإيمان بذاك الوصف الذي وصف الرسول ﷺ ربّه به؛ لماذا؟ لأنّه ثبت بحديث صحيح أنَّ النبي ﷺ قد وصف اللهَ تبارك وتعالى به، واللهُ تبارك وتعالى أوصافه لا تُعرف إلّا بوحي منه، وبما أنّ سنة النبي ﷺ وحيٌ من الله؛ إذن فوجب الأخذ بما جاء به ﷺ؛ هذا منهج السلف، من غير تفريق في ذلك بين متواتر وآحاد، ليست عندهم هذه الفلسفة، هذه الفلسفة جاءت من قبل أهل البدع، أهل الباطل.

انظروا إمام من أئمة السلف: إسحاق بن راهويه، كثير منكم يعرفه هو صاحب الإمام أحمد، دخل هذا الإمام على أمير من الأمراء يُقال له: ابن طاهر؛ فقال ابن طاهر

لإسحاق بن راهويه مستنكراً: ما هذه الأحاديث؟ يروون أنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ -يستنكر هذا الأمر بعدما سمع من ضلالات أهل البدع-؛ فقال له إسحاق بن راهويه: (نعم؛ رواها الثقات) انظر إلى هذه الكلمة: (رواها الثقات)؛ لم يقل له: متواترة ولا غيرها، فقط قال: رواها الثقات، يكفي قال: (نعم رواها الثقات الذين يروون أحاديث الأحكام) انظر كيف كان ردُّه؛ ماذا يعني؟ يعني: بما أنّك قبلت منهم دينك الذي تتعبد به ربّك تبارك وتعالى كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها؛ فلم لا تقبل منهم هذا؟ قال: (نعم رواها الثقات الذين يروون أحاديث الأحكام).

فقال ابن طاهر مسترسلاً ومستنكراً ومتعجباً: (ينزل ويدع عرشه؟!) انظر الآن تشغيل العقل في الموضوع، من أين جاء بكلمة: ينزل ويدع عرشه؟ جاء بها من القياس؛ قاس الله على عبده، فمثَّل، ثم أراد أن يفرَّ من التمثيل؛ فاستنكر هذه الصورة؛ وهذا أصل كلّ معطل، كلّ معطل في أصله ممثل، فأراد أن يفرَّ من التمثيل فوقع في التعطيل.

كلّ واحدٍ منهم عندما فكر في: آية إثبات صفة اليد، آية إثبات صفة الوجه، إثبات صفة الرجل؛ خطر في باله مباشرة رباً يُماثل المخلوقين، فاستنكر هذا واستعظمه في نفسه؛ فأراد أن يفرّ منه؛ ففرَّ إلى التعطيل.

وهذا كثيرٌ وصوره كثيرة في الناس، عندما يريدون أن يفروا من شيء خطأ؛ يفرون إلى ضده، انظروا إلى أحوال الناس اليوم، انظروا إلى الغرب؛ عندما أرادوا أن يفروا من ظلم النساء؛ فروا إلى تحريرهن من كلّ القيود، وكذلك عندما أرادوا أن يفروا من ظلم الحيوانات؛ فروا إلى الطرف الآخر... وهكذا، هكذا هم البشر إلّا من رحم ربي.

فالأمر المعتدل يأتيك من ربّ العالمين تبارك وتعالى.

هنا أهل السنة نظروا إلى كتاب الله تبارك وتعالى بعين الاعتدال والإنصاف فأخذوا بآية: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} بكلا طرفيها، فما أخذوا بطرفٍ وتركوا الآخر، المعطلة أخذوا بقوله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وتركوا: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} والمشبهة أخذوا بـ: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وتركوا: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وأهل السنة وسطٌ بين الطريفين، أخذوا بقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الآية واضحة؛ نَزّهوا الله عن التمثيل، وأثبتوا ما أثبت لنفسه، وانتهى الأمر.

فقال ابن طاهر: (ينزل ويدع عرشه؟) انظر إلى الرّد؟ إلى الأصل السلفي، الأصل الذي تعلموه من أئمتهم وعلمائهم، إسحاق بن راهويه يُعدُّ من أتباع التابعين أو من بعدهم.

قال له إسحق بن راهويه: (يقدر أن ينزل من غير أن يخلوَ منه العرش؟) أسألك سؤالاً: هل الله سبحانه وتعالى قادر على النزول إلى السماء الدنيا من غير أن يخلو منه العرش أم لا؟ قال: (نعم، يقدر على ذلك) لأنّه قد استقر في نفسه أنّ الله على كل شيء قدي.

قال إسحق: (قلت: فلم تتكلم في هذا؟) مالك وهذه الفلسفة؟ أمرٌ لم يأتِ في كتاب الله ذكره ولا جاء في سنة النبي ﷺ ولا تكلم فيه أصحاب النبي ﷺ ولا من بعدهم، لماذا تذكره وتحشر أنفك فيه؟ قف حيث وقف القوم، ولا تزد، ينزل؛ ينزل، وجاء في رواية أيضاً أنّه سأل إسحاق بن راهويه عن كيفية النزول، فقال له إسحاق: (أعزّ الله الأمير، لا يُقال كيف؛ إنّما ينزل بلا كيف) هذه الأصول السلفية، من أراد العقيدة بحقّ فليقرأ مثل هذه الآثار؛ يعرف منهج السلف، الكيف ما أُخبرنا به، أخبرنا الله أنّه ينزل وما أخبرنا كيف ينزل؛ إذن نسكت عن الكيف ونُثبت النزول.

قال المؤلف رحمه الله: **(مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ)**

أي ما هي هذه الصفات التي أَخبر النبي ﷺ عنها في أحاديث صحيحة وجب علينا قبولها؟

قال: **(يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

هذا واضح، نُثبت بذلك أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما يشاء وكيف يشاء ولا نزيد، ونقف إلى هنا.

قال المؤلف: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ..." الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

فيه إثبات صفة الفرح لله تبارك وتعالى؛ وهو فرح حقيقي يليق بجلاله وعظمته، ليس كفرحنا، نحن نفرح والله يفرح، ولكن فرح الله ليس كفرحنا؛ فرح الله يليق بعظمته وجلاله تبارك وتعالى، ليس كفرح المخلوقين.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

يضحك الله، فيه إثبات صفة الضحك لله تبارك وتعالى، والقول فيها كالقول في صفة الفرح؛ ضحك يليق بجلال الله وعظمة الله لا كضحكنا، وهذا من الصفات الفعلية؛ يفعلها الله سبحانه وتعالى كيف يشاء ومتى شاء.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ" حَدِيثٌ حَسَنٌ)**

هذا الحديث فيه صفتان:

الأولى: صفة العَجَبِ؛ وهو استغراب الشيء، وهذا الاستغراب يحصل لأمرين:
الأول: خفاء الأسباب عن الشخص، فعندما يحصل الشيء؛ يستغربه لجهله بأسباب حصول هذا الشيء؛ وهذا منزّه الله تبارك وتعالى عنه لأنّه ناتج عن جهل.
والنوع الثاني: أن يكون السبب غير خفي، ولكنّه يُخرج الشيء عن نظائره؛ أي: عن أمثاله، كأن ترى طفلاً صغيراً يتكلم بكلام أكبر من سنّه، تستغرب وتضحك، أنت تعلم أنّه قادر على مثل هذا الكلام، ولكن الأطفال الذين من سنّه لا يتكلمون بهذا الكلام، فعندما يخرج منه هذا الكلام؛ تستغربه، لا لعدم علمك أنّه قادر عليه؛ ولكن لأنّ نظراءه -يعني الأطفال الذين في سنّه- لا يتكلمون بمثل هذا الكلام؛ فتستغرب، فهذا الاستغراب ليس ناتجاً عن جهل، هو ناتج عن علم- معروف هذا الشيء-؛ وهذا هو الذي نثبته لله تبارك وتعالى.
"عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ"، القنوط: اليأس الشديد، "وَقُرْبِ غِيَرِهِ"، مع قرب تغييره للحال، "يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ"، أي: واقعين في الشدّة، "قَنِطِينَ"، من القنوط وهو اليأس، "فيظلّ يضحك"، هذا فيه إثبات صفة الضحك لله كما تقدم،" يعلم أنّ فرجكم قريب".

ثم قال رحمه الله: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى، وَهِيَ تَقُولُ :هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ) فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ؛ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ". مُتَّفَقٌ عَلَيْه)**

ماذا يلقى في جهنم؟ يلقى فِيهَا النّاس والحجارة.
لا تزال: أي: ما زال الملائكة يأخذون البشر ويرمونهم في جهنّم ويرمون فيها الحجارة كي تزداد اشتعالاً- نسأل الله أن يجنبنا وإياكم شرّها-.

"وَهِيَ تَقُولُ :هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟" لا يملأها البشر ولا الحجارة، كلّما ألقي فيها فوج قالت: هل من مزيد؟ يعني تطلب الزيادة.

("حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ (وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ) فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) يبقى يُرمى فيها البشر وتُرمى فيها الحجارة وهي تطلب المزيد والزيادة، حتى يضع ربّنا تبارك وتعالى رجله فيها؛ عندئذ تقول: قط قط؛ أي: حسبي وكافيني، خلص انتهى الأمر، وهذا فيه إثبات الرّجل والقدم لله تبارك وتعالى، الرِّجل بمعنى: القدم، جاء ذكر الرّجل في حديث أبي هريرة وهو متفق عليه، وفي رواية عنه عند البخاري: "قدمه"، وجاء ذكر "القدم" في حديث أنس متفق عليه.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ؟ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ..." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

(لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ) أي: إجابة بعد إجابة وإسعاداً بعد إسعاد،

(فَيُنَادِي بِصَوتٍ) فيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى؛ لأنّ النداء كلام،

و(بصوت) النداء أصلاً لا يكون إلّا بصوت؛ ولكنّه أكّده، ففيه زيادة تأكيد، فيه إثبات الكلام الحقيقي لله تبارك وتعالى الذي يكون بحرف وصوت، لا الكلام النفسي الذي تثبته الأشاعرة، ذاك الكلام ليس كلاماً حقيقياً؛ الكلام الحقيقي الذي يكون بحرف وصوت.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ")**

هذا فيه إثبات الكلام؛ أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام حقيقي يسمعه المُكلَّم الذي كُلِّم، فسيُكلِّم اللهُ تبارك وتعالى كلَّ واحدٍ منا؛ فيسمعُ كلامَ اللهِ تبارك وتعالى، ليس بينه وبين الله من يترجم الكلام.

وهذا الحديث متفق عليه.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: "رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأُ". حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ)

قوله: (حوبنا): يعني كبائر الذنوب.

قوله: (حديث حسن) ليس بحسن؛ بل هو حديث ضعيف أعلّه الذهبي في كتابه "العلوّ" براوٍ اسمه: زيادة بن محمد وهو منكر الحديث، قاله فيه البخاري رحمه الله والنسائي وأبو حاتم، ولم يُوّثقه معتبر؛ ولكنّ الله في السماء ثابت بأدلة كثيرة تقدمت وستأتي إن شاء الله، والشاهد الذي ذكر المؤلف الحديث هنا لأجله: هو إثبات أنّ الله في السماء، وقد تقدمت معنا آيات في ذلك وستأتي أحاديث بهذا المعنى إن شاء الله.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ: "أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ" حَدِيثٌ صَحِيحٌ)

هذا الحديث في الصحيحين، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، والشاهد فيه قوله: "وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ"، أي: أمين الله سبحانه وتعالى، فالله في السماء؛ أي: على السماء، أو في السماء بمعنى: في العلوّ.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ: "وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ". حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ)

الشاهد فيه: الله فوق العرش، والعرش فوق جميع المخلوقات، كما هو معلوم؛ ولكنّ

هذا الحديث حديث ضعيف، ضعّفه الذهبي في كتاب العلوّ بـ: عبد الله بن عُميرة، وهو حديث الأوعال.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَقَوْلُهُ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: "أَيْنَ اللهُ؟" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: "مَنْ أَنَا؟". قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ)**

لمّا كان المشركون يعبدون أوثاناً كثيرة على الأرض ويعبدون الله أيضاً أراد أن يَعلَم النبيُ ﷺ إيمان هذه المرأة ويختبرها؛ تعبد من؟ الذي في السماء أم الذي في الأرض؟ فقال لها: "أين الله؟"، الذي تعبدينه وتتقربين إليه؟ قالت: في السماء، ففرّقت ما بين من هو في الأرض ومن هو في السماء؛ فأثبتت علوّ الله تبارك وتعالى بذلك، وهذا من السنن التقريرية، هذا معنى التقرير؛ أن يقول الصحابي شيئاً في حضرته ويسكت النبيُ ﷺ عنه، هذه سنة ثابتة وحجّة شرعية، وهنا أقرّها النبي ﷺ وأثبت لها الإيمان بذلك؛ إذن: فالله في السماء وهو حديث صحيح لا إشكال فيه؛ لذلك كان شوكة في حلوق أهل البدع، فتطاول عليه بعض من لا يتق الله سبحانه وتعالى ولا يخافه بالتضعيف، وكثير منهم تطاولوا عليه بالتحريف. والله المستعان.

قال: **(وَقَوْلُهُ ﷺ: "أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ". حديث حسن)**

انتهى من علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه وبدأ يذكر المعيّة- معيّة الله تبارك وتعالى- ولا تعارض بين الأمرين؛ الله عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه وهو معنا بعلمه، بحفظه، بسمعه، ببصره، هو معنا بذلك؛ أمّا هو بذاته فهو عالٍ على خلقه.

قال: (أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْت) أي: أينما كنت؛ فاللهُ سبحانه وتعالى معك، معك بحفظه، معك بعلمه، يسمع ويرى {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}.

هذا الحديث أخرجه الطبراني في "الأوسط" وهو ضعيف، في سنده محمد بن مهاجر، قال المُنَاوي: (فإن كان القرشي؛ فقال البخاري: لا يُتابع على حديثه، أو الراوي عن

وكيع فكذّبه جزرة، كما في "الضعفاء" للذهبي) يعني: هو أحد رجلين: إمّا أن يكون القرشي؛ فهذا قال فيه البخاري: لا يُتابع على حديثه، أو أن يكون الذي يروي عن وكيع؛ وهذا قد كذبه صالح جزرة، كما في "الضعفاء" للذهبي؛ فالحديث لا يثبت.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

الشاهد قوله: "فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ"، ولا يلزم من ذلك أن يكون على الأرض، فأنت عندما تكون متجهاً إلى القمر وتصلي؛ فهذا القمر في العلوّ ويكون قبل وجهك.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ "اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ". رواه مسلم)

الشاهد: في ذلك قوله: (أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ)، (وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ)، (وَأَنْتَ الظَّاهِرُ)، (وَأَنْتَ الْبَاطِنُ)؛ وقد تقدم تفسير ذلك كلّه عند تفسير الآية التي ورد فيها ذكر هذه الأسماء.

قال: (وَقَوْلُهُ ﷺ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: "أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

"أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ" يعني: ارفقوا بأنفسكم وهوّنوا عليكم وخففوا من رفع أصواتكم؛ "فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا" عندما كانوا يرفعون أصواتهم بالذكر؛ قال: الذي تدعونه وتذكرونه قريب منكم لا يحتاج منكم إلى رفع الصوت بالشكل الذي أنتم

عليه؛ فهو ليس بأصمّ ولا غائباً، ففي هذا الحديث صفات سلبية قد نفاها النبي ﷺ عن ربّنا تبارك وتعالى؛ نفى عنه الصمم ونفى عنه الغياب؛ فهو ليس بأصمّ لكمال سمعه، وليس بغائب لكمال علمه وقربه، "إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا" فهو معكم بسمعه وبصره، "إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ" فهو قريب جداً بسمعه وبصره، فيسمعكم ويبصركم ويعلم ماذا تفعلون.

قال: **(وقَوْلُهُ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

هذا تأكيد من النبي ﷺ أنّكم أيّها المؤمنون سترون ربّكم يوم القيامة، ومثَّل هذه الرؤية برؤية القمر ليلة البدر؛ فالتمثيل للرؤية بالرؤية وليست للمرئي بالمرئي، ليست تمثيل القمر بالله سبحانه وتعالى أو تمثيل الله بالقمر؛ لا؛ وإنّما كيفية الرؤية، كيف سنرى الله سبحانه وتعالى جميعنا ونحن بهذا الجمع الكبير؟ قال" :إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ"، انظروا القمر ليلة البدر؛ من هو في المشرق يراه ومن هو في المغرب يراه من غير أن تحتاجوا إلى مزاحمة، لا ينضم بعضكم إلى بعض وتتزاحموا لرؤيته.

ففي الحديث إثبات رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، والأحاديث في ذلك متواترة، وخالف فيها أهل البدع والضلال فحرفوها.

قال المؤلف رحمه الله: **(إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ)**

قلنا هذه التسمية مأخوذة من قول النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النَّار إلّا واحدة"؛ فهذه الفرقة هي الناجية، هي التي نجت، من هي هذه الفرقة؟

ما كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

قال: **(أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)**

هي واحدة، تسمية واحدة؛ الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، هم الطائفة المنصورة؛ كلّها تسميات لشيء واحد، أهل السنة أي: الذين اتبعوا سنة النبي ﷺ، وأهل الجماعة الذين اجتمعوا على الحقّ، اجتمعوا على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، فليس لهذا الاسم نصيب لمن خالف السنة وخرج عن الجماعة؛ وإنّما النصيب لمن تمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وبقي مع جماعة المسلمين الذين هم أصحاب النبي ﷺ.

فعلى ذلك لا يُقال بأنّ الأشاعرة من أهل السنة؛ لأنّهم يُقدمون العقل على السنة، لا يُقدمون السنّة على العقل.

ولا يُقال بأنّ الإخوان المسلمين من أهل السنة؛ لأنّ الإخوان يُقدمون الهوى مع العقل على الكتاب والسنة، انظروا إلى دينهم وانظروا إلى أحوالهم، لا يرفعون رأساً لا بكتاب ولا بسنة، عندما تأتيهم حتى الأوامر من قبل الله تبارك وتعالى ومن قبل رسوله ﷺ؛ يحاولون أن يأخذوا بأسهل الأقوال من أقوال الفقهاء؛ حتى وإن خالفت الأدلة الشرعية من أجل أن يتخلصوا من الحكم الشرعي ولكن باسم الدين؛ هذا هو دينهم، غايتهم من وراء لبس ثوب الدين هو الوصول إلى الحكم والكرسي، تعال انظر إليهم في نشر السنة، في نشر التوحيد، في محاربة الشرك، في محاربة البدعة؛ لا تجد لهم نشاطاً في هذا، ولا تجد لهم عملاً.

ما هو دين الله؟ دين الله توحيد وسنة وطاعة، وضده شرك وبدعة ومعصية، فإذا لم يشتغلوا بالتوحيد ولا بالسنة ولا بتعليم الناس الطاعات ولا اشتغلوا بتحذير الناس مما

يضادها من الباطل؛ فأيّ دين هذا؟ إشغال الناس بقال الزعيم الفلاني وقال القائد الفلاني، وجمع الشباب حولهم والتدريبات وما شابه؛ أهذا دين؟ هذه سياسة، وحرص على الكراسي، ثم يأتي مخذول جاهل مِن الذين عرفوهم ويقول لك: الإخوان من أهل السنة والجماع.

قال: **(يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ)**

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وأهل السنة؛ هؤلاء واحد، يؤمنون بذلك؛ يؤمنون بكلّ الأحاديث التي تقدمت معنا.

قال: **(كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ)**

لا يُفرقون بين هذا وهذا، فكلّه يؤمنون به، لا يضعون سنة النبي ﷺ على ميزان عقولهم الخَرِبَة كما يفعل العقلانيون من الإخوان وغيرهم، الكثير من العقلانيين في صفوف الإخوان، كما قال أحد الدكاترة من الإخوان -عندنا هاهنا- عندما ذكر له حديث الذبابة؛ قال: (ألق به من النافذة) وكان في السيارة، قالوا له: إنّ الغرب أثبت ما قيل في الحديث، قال: (الآن نقبله)، أهذا دين؟ هؤلاء أهل سنة؟ نعوذ بالله منهم ومما يقولون.

قال: **(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ)**

وقد تقدم شرح ذلك كلّه.

نكتفي بهذا القدر اليوم، ثم نبدأ إن شاء الله بذكر الفرق والطوائف التي ذكرها المؤلف رحمه الله بإذن الله تعالى في الدرس القادم.